

تاريخ الطب فى إيران الإسلامية

قيس آل قيس*

الملخص

يعتبر الطب مناقدم العلوم البشرية حيث أن هذا العلم يخدم بقاء الإنسان ذلك البقاء الذى طالما تطلعت إليه البشرية منذ أمد بعيد. و من هذا المنطلق يلقى هذا المقال الضوء على نشأة هذا العلم من ناحية و تطوره و تدوينه من ناحية أخرى كما أنه يدرس ظهور الطب و تطوره فى الإسلام مشيراً إلى الأطباء المسلمين والجامعات الإسلامية التى كانت تدرّس الطب و تنشره بين المسلمين. و أخيراً ينطلق نحو الغاية المنشودة و هى دراسة تاريخ الطب بعد ظهور الإسلام فى إيران الإسلامية.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
رتال جامع علوم انسانی

الكلمات الدليلية: الطب، الإسلام، الأطباء، الحكماء، الترجمة، المستشفى،

بیمارستان.

*. أستاذ مشارك بمعهد العلوم الإنسانية والدراسات الثقافية (دانشیار پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی).

ظهور العلوم الطبية

من المؤكّد أنّ البحث عن نشأة العلوم الطبية أمرٌ ليس بالهين بل هو عسيرٌ جداً لِبُعدِ العهد، وتباين الآراء فيه منذ القدم، ولم نجد لذوى الآراء الصادقة قولاً مرجحاً يعتمد عليه، والآراء السائدة في هذا المضمار تنقسم الى قسمين، القسم الأوّل يقول بقدمه ويعتبرونه كأحد الأشياء القديمة لم تزل مُذْ كانت، مثل خلق الانسان، والقسم الثاني يقول بِحُدُوثِهِ، وهم فريقان: فريقٌ يقول إنّ الطب خلق مع الانسان لأنّه من الأمور التي بها صلاح البشرية، وفريقٌ يقول أنّ العلوم الطبية أُسْتُحْدِثَتْ فيما بعد، وهم طائفتان: الطائفة الأولى تقول إنّ الله سبحانه وتعالى ألهم هذه العلوم الانسان، وهم أنصار آراء جالينوس (Galenos) وبُقراط (Hippocrate) وأصحاب القياس. والطائفة الثانية تقول إنّ الانسان قد اكتشف هذه العلوم واستخرجها نتيجة تجاربه وهم أنصار ثاسلوس (Thessalos) وفيلن، وهؤلاء مختلفون أيضاً في الوضع الذي أُسْتُخْرِجَتْ بِهِ.

يقول قسمٌ منهم إنّ المصريين هم الذين استخرجوها، ويقول القسم الآخران هُرمُس (Hermes) هو الذي استخرج الطب والفلسفة، وهناك طائفة تقول إنّ أهل «فولوس» أو أهل «موسيا» و«أفروجيا» كانوا يعالجون الناس بإيقاعات المزمارو ألعانه، وبعضهم يقول إنّ حكماء أهل «قو» وهي الجزيرة التي كان بها بقراط وآباؤه هم الذين اكتشفوا الطب وعلومه.

وأغلب المؤرخين القدماء يعتقدون أنّ الطب ظهر في جُزُرٍ ثلاثٍ هي: جزيرة رُودس (Rhodes) إحدى جزر الأرخييل اليوناني قرب الساحل الغربي الجنوبي من تركيا الآسيويّة، وجزيرة قنيدس وهي جزيرة صغيرة في دوديكانيز (Dodecanese) في أرخييل سيوراد، وجزيرة قو (Cos) في غرب مجمع الجزائر في بحر إيجه موطن بقراط.

ورُوي أنّ الكلدانيين (وهم سكّان جنوب العراق في الألف الأوّل قبل الميلاد) هم الذين استخرجوا العلوم الطبية، وقيل السحرة من أهل اليمن في جنوب الجزيرة العربية،

١. هو إله الفضاحة والتجارة عند اليونان ورسول الآلهة، سمّاه الرومان: مَرُكُور بن جُوبيتر.



وقيل سحره بابل العراق أو سحره بلاد فارس (إيران)، ويقول البعض إن أول من استخرج هذه العلوم أهل جزيرة كريت (Crete) اليونانية، وقيل أهل طور سينا وهي بلدة في جزيرة سيناء جنوب غربى جبل موسى على قناة السويس.

أما الذين قالوا بأن الله سبحانه وتعالى ألهم الإنسان هذا العلم (وهم أنصار جالينوس وبقراط كما ذكرنا) فيعتقد بعضهم «هو الإلهام بالرؤيا» حيث أن جماعة رأوا في منامهم أدوية استعملوها في اليقظة فشفتهم وشفّت من استعملها بعدهم.

والبعض الآخر يعتقد أن الإلهام كان بالتجربة حيث استعمل الإنسان بعض النباتات صدقة فكان فيها الشفاء، فاشتهرت بين الناس وعم استعمالها، وساد أمر التجربة بين أرباب هذه المهنة.

وأما الذين قالوا: إن الله خلق صناعة الطب مُد خلق الإنسان لأنه من الأمور التي بها صلاح البشرية، واحتجوا في ذلك بأنه لا يمكن لعقل الإنسان أن يستخرج هذا العلم. ورأيت في طبقات الأطباء نقلاً عن تفسير كتاب الإيمان: «وأما نحن فالأصوب عندنا والأولى أن نقول إن الله تبارك وتعالى خلق صناعة الطب وألهمها الناس، وذلك أنه لا يمكن في مثل هذا العلم الجليل أن يدركه عقل الإنسان، لكن الله تبارك وتعالى هو الخالق الذى هو بالحقيقة فقط يمكنه خلقه». (طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة، ص ١٣)

الطب قبل التدوين

اتفق أكثر المؤرخين ورجال العلوم الطبية أن «أسقليبيوس - Asclepios» أول من تكلم في شيء من الطب على طريق التجربة وانكشفت له أمورٌ عجيبة من أحوال العلاج والتمريض بإلهام من الله جل شأنه فعظمه أهل بلده حتى صار عندهم إله الطب، لأنه أبرأ المرضى الذين يئس الناس من برئهم ولما شاهد الناس أفعاله ظن بعض العامة أنه يحيى الموتى.

وعاش أسقليبيوس قبل الطوفان بخمسة قرون وذكر المؤرخون أنه علم أبناءه صناعة الطب مشافهة وحذر عليهم أن يعلموها الغرباء.

وقد ذُكرَ عنه أفعالٌ تليقُ بالخرافات لا بالحقائق العقلانيَّة.

وخلفَ «أسقليبيوس» هذا البنيينَ ماهرين في صناعة الطب وعهد إليهما أن لا يُعلِّمَّا الطب إلا لأولادِهِما وأهل بيتهما، وأن لا يُدخِلا في صناعة الطب غريباً. وأتمَّ مسيرة «أسقليبيوس» تلامذةً من آل بيته، وهم: ماغينس، وسُقراطون، وخروسيوس، ومهراريس، وموريدس، وميساوس. وكان هؤلاء يتحلون رأى أستاذهم، وهو رأى التجربة، ولم يزل الطب ينتقل بين هؤلاء التلاميذ من جدِّ لأبٍ ونجلٍ وحفيدٍ إلى أن ظهر: غورسُ (Gors)، وهو ثانی حُذَّاقِ الأطباء المشهورين بعد «اسقليبيوس»، وخلف من الأطباء بين ولدٍ وحفيدٍ سبعة أشخاص وهم: مرقس، وجورجيس، ومالسطس، وفولس، وماهالس، وأراسطواطس الأول، وسقيروس، وكان كلُّ واحد من هؤلاء ينتحل رأى أستاذه وهو رأى التجربة، ولم يزل هذا العلم ينتقل بين هؤلاء وأبنائهم، إلى أن ظهر مينسُ (Menes) وهو ثالثُ الأطباء المشهورين حيثُ جدَّدَ النظر في نظرية الآباء القائمة على التجربة وضمَّ إليها القياس، وقال: لا تجربة بلا قياس لأنَّ التجربة تكون خطراً على حياة المريض، وخلف من التلاميذ أربعة، وهم: قَطْرُطس، وأمِينس، وسورانس، ومثيناوس القديم، حيثُ عملوا بطريقة القياس والتجربة، ولم يزل الطب ينتقل من أستاذ إلى طالب، إلى أن ظهر برمانيدس (Parmenides)، وكانت الفترة بينه وبين مينس ٧١٥ سنة، ونقض برمانيدس نظرية الأقدمين، وقال: «إنَّ التجربة خطأ وحدها كانت أم مع القياس»، ثم اتَّخذ القياس مذهباً.

وبعد وفاته خلف ثلاثة تلاميذ وهم: ثاسلس، وأفرن، وديوفيلس، فوقع بينهم الخلاف، فاتَّخذ أفرن التجربة مذهباً، واتخذ ديوفيلس القياس مذهباً، أما ثاسلس فانتحل الحيل، وقال: «إنما الطب حيلة». ولم تزل هذه الحال بينهم إلى أن ظهر أفلاطون بعد ٧٥٣ سنة.

وعندما ظهر إفلاطون (Phaton): وجد القوم على ثلاثة مذاهب كما ذكرنا أعلاه فنظر مقالاتهم، وعلم أن التجربة وحدها رديئة وخطرة، والقياس وحده لا يصح، فانتحل الرأيين جميعاً، وأسقط رأى أصحاب الحيل ومن انتحل رأياً واحداً من التجربة والقياس،



وعندما توفى أفلاطون خلف ستة تلاميذ من أولاده وأقاربه، وهم:

- ١- ميرونس: وأفرده بالحكم على الأمراض.
- ٢- فورونوس: وأفرده بمعالجة الأبدان.
- ٣- فوراس: وأفرده بالفصد والكى.
- ٤- ثافوروس: أفرده بعلاج الجراحات.
- ٥- سرجس: وأفرده بعلاج العين.
- ٦- فانيس: وأفرده بجبر العظام المكسورة وإصلاح المخلوعة.

ولم يزل الطب يجرى على هذه الطريقة إلى أن ظهر «أسقليبيوس الثانى».

أسقليبيوس الثانى: سار على الدرب الذى رسمه إفلطون، وخرج ثلاثة طلاب من أهل بيته لا غريب فيهم ولا طبيب سواهم، وهم: بقرط، وماغارينس، وأرخس وما هى إلا فترة حتى توفى ماغارينس، وشاءت الأقدار أن يتبعه بعد مدة الطبيب الآخر أرخس، وبقي بقرط وحيد زمنه طبيياً كامل الفضائل تضرب به الأمثال، وعلم الغرباء الطب وجعلهم كأولاده، ويفضل بقرط الحكيم خرج الطب من دائرته المغلقة خوفاً عليه من الزوال والفناء.

تدوين العلوم الطبية

اتفق المؤرخون على أن أول من دون علم الطب، بقرط الحكيم (Hippocrate) الذى ولد فى جزيرة قوس (Gos) باليونان نحو سنة ٤٦٠ ق.م، وتوفى سنة ٣٧٧ ق.م، ونقلت مصنّفاته إلى العربية، منها: كتاب تقدمة المعرفة، وكتاب طبيعة الانسان. وكان فى زمن أردشير شاه من ملوك الفرس، وكان يسكن حصص من مدن الشام.

ثم ظهر من بعده جالينوس الحكيم (Galenos) (نحو ١٣١-٢٠١م) إمام أطباء عصره وصاحب الاكتشافات الخطيرة فى التشريح، ومؤلف الكتب الجليلة فى الطب وغيره ومؤلفاته تنيف على ستين تاليفاً، وهو من أكبر مراجع أطباء العرب والمسلمين. ثم أتم مسيرتهما فيلغريوس (philigarius) وهو طبيب وجراح اشتهر بين الأطباء

المسلمين بكتابه (أمراض اللثة والأسنان) الذي ترجمه إلى العربية ثابت بن قُرّة بن زَهُرُون الحرّاني (٢٢١-٢٨٨هـ).

أوريباسيوس (٣٢٥)، (Oribasios-٤٠٠م) ولهذا الطبيب شهرة واسعة لدى أطباء الأماص الإسلامية له كُنْاش في الطب ترجمه حنين بن اسحاق الطيب (١٩٤-٢٦٠هـ) إلى العربية. ثم سادت بعد هؤلاء سجيّة تدوين المؤلفات الطبيّة حتّى وصلت إلى ما وصلت إليه في عصرنا الحاضر.

الطب في الإسلام

المقصود من الطب في الإسلام هي التعاليم الطبيّة التي وردت في القرآن المجيد، أو التي اقتبست من السنّة النبويّة على صاحبها وآله ألف الصلاة والسلام، ثم انتشرت مع الفتوحات الإسلامية التي شملت الأنحاء المعمورة، وعمل بها المسلمون أينما وجدوا لاعتقادهم الراسخ بالقرآن المجيد وتنفيذ ما جاء به حرفياً.

وقد أشار القرآن الكريم إلى الماء وهو عنصر الطهارة في ٦٣ آية وعين دوره الفعّال في النّظافة، ابتداءً من الوضوء للصلاة وانتهاءً بأنواع الطهارة والغسل الواجب والاستحمام، ومن درس القرآن المجيد يتبين له أنّ القرآن لم يهتمّ بالعلاج فقط وإنما تجاوزته إلى الوقاية قبل المرض حيث قال عزّ وجل: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ (سورة الأعراف، الآية ٣١) ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ (سورة البقرة، الآية ٢٣٣) وقال الرسول الأكرم (ص): «العلمُ علمان، علمُ الأبدان، وعلمُ الأديان» ويظهر من هذا أنّ الرسول (ص) كان يُقدّم العلم المتعلّق بالبدن، على العلم المتعلّق بالدين، كما كانت أحاديثه (ع) في هذا المضمار قد جلبت أنظار علماء الطب من القرن السابع الميلادي إلى يومنا هذا، منها:

قال (ص): «المعدة بيت كل داءٍ والحمة رأس كل دواء».

وقال (ص): «شرب الألبان محض الإيمان».

وترك لنا الرسول الأكرم مجموعة كبيرة من التعاليم الطبيّة مقسّمة على ثلاثة فنون:



١- قواعد الطبّ.

٢- الأدوية والأغذية.

٣- علاج الأمراض.

وقد جَمَعَهَا عددٌ من العلماء في كتاب وسمّوه: «الطبّ النبويّ»، منهم: أبو نُعيم أحمدُ بن عبد الله الأصفهانيّ المتوفى سنة ٤٣٠هـ، وأبو العباس جعفر بن محمد المستغفرى المتوفى سنة ٤٣٢هـ، وجلال الدين عبدالرحمن السيوطى المتوفى سنة ٩١١هـ، وطُبِعَ الكتابُ في مصر سنة ١٣٤٦هـ. ق. طباعة حديثة في ٢٧٩ صفحة. (راجع كشف الظنون، ج ٢، ص ١٠٩٥، وفهرست الكتب العربية المطبوعة فهرست كتابهاى چابى عربى تأليف خان بابا مشار بالفارسية)، ص ٦٠٥.

وقد سارَ على هذا التَّهَجِجِ الأئمةُ الأطهارُ عليهم السلام حيث وصلنا من هذا التراثِ «طبُّ الإمام الصادق (ع)» طبع في النجف الأشرف طباعة حديثة سنة ١٣٧٤ هـ. ق، و«طبُّ الإمام الرضا» تأليفُ الإمام عليّ الرضا ابن الإمام موسى الكاظمِ عليهما وعلى آبائهما السلام، وقد طُبِعَ هذا الكتابُ ضمن المجلد الرابع عَشَرَ من كتاب بحار الأنوار، وبشكل كتابٍ مستقلٍ في بغدادَ (وبدون تاريخ) باهتمامِ الدكتورِ صاحبِ زيني في ١٧٠ صفحة.

الطبُّ الإسلامى

من المُتَّفَقِ عليه تاريخياً أنَّ الطبَّ الإسلامى امتدادٌ للطب الفارسى واليونانى والإسكندرانيّ، وأنَّ كافةَ أطباءِ العصر الإسلامى قد استندوا في دراستهم على مصادر وآثار علماء الأقطار المذكورة. ونهض بأعباء النهضة الطبية رجالٌ من كافة أرجاء البلدان الإسلامية، وقاموا بأعمال مهمة منها ترجمةُ المصنّفاتِ والمؤلّفاتِ من اللغات المختلفة إلى اللغة العربية والتي تُعْتَبَرُ لغةَ العلم والثقافة في ذلك الأوان. وكان أغلبُ هؤلاء العُلَماءِ المسلمين من غير العرب، لذا فقد نسب أكثر المؤرخين هذه العلوم إلى العرب بدل الإسلام وذلك لأنَّهم اعتبروا لغةَ الدينِ والقرآنِ والتي تكلمَ وكتبَ بها كلُّ مسلمٍ لغةً

قوم، وخلطوا بين الطب الإسلامي والطب العربي. كما أن أشهر أطباء الإسلام هم من خريجي جامعة جندي سابور (جندي شاپور)، رحلوا بعلومهم إلى البلاد العربية وكان فخرهم أنهم من منتسبي جندي سابور. ومما تجدر الإشارة إليه هو أن العلوم الطبية في الجزيرة العربية قبل ظهور الإسلام كانت علوماً بدائيةً ونتيجةً لامتزاجها بالعلوم الطبية للدول الإسلامية الأخرى فقد صار لها شأن مرموق، وكانت اللغة العربية هي السائدة في كافة الأقطار التي آمنت بالإسلام ديناً والقرآن كتاباً ومحمد (ص) رسولاً، لذا دُوِّنت كافة العلوم بلغة الدين الجديد الذي يحمل رسالة الهداية والإصلاح ولواء الحرية والعدالة ومشعل الرحمة والقوة، كي يعمر الأرض والنفوس بال عمران والإيمان، وبما أن الطب قد شارك العلوم بهذه الميزة فإننا سنسعرض تاريخ العلوم الطبية الإيرانية والإسلامية ضمن إطار واحد.

الاطباء المسلمون

لقد حافظت جامعة جندي سابور على مكانتها العلمية البارزة التي تميزت بها قبل الإسلام خلال القرن الأول والثاني الهجري (أى: قبل التمرکز العلمی فی بغداد) وبعده وقدّمت أطباءً ملأت شهرتهم العالم أمثال جورجس بن جبرائيل المتوفى سنة ١٥٢هـ، عيسى بن صهار بخت المتوفى سنة ١٦٥هـ، عيسى بن شهلافا المتوفى سنة ١٦٨هـ، وبخت يشوع الكبير بن جورجس المتوفى حوالي سنة ١٨٠هـ، وأبى يوحنا ماسويه المتوفى بعد سنة ٢٠٠هـ، وجبرائيل بن بخت يشوع المتوفى سنة ٢١٣هـ، وميخائيل بن ماسويه المتوفى سنة ٢٢٠هـ، ويوحنا بن ماسويه المتوفى سنة ٢٤٣هـ، وسابور بن سهل المتوفى سنة ٢٥٥هـ، وبخت يشوع بن جبرئيل بن بخت يشوع المتوفى سنة ٢٥٦هـ، ويوحنا بن بخت يشوع المتوفى سنة ٢٩٠هـ، وغير هؤلاء.

وقد اعتبر المحققون والمؤرخون طب جندي سابور القاعدة العريضة التي يستند عليها الطب الإسلامي، وأساتذة جندي سابور أساتذة مدرسة الطب الإسلامي حيث قدم هؤلاء خدمات طبية جليّة شملت أرجاء العالم الإسلامي. وهنا يجب أن لا ننسى دور



الأطباء النَّسَاطِرَةِ (Nestoriens) أتباع بطريرك القسطنطينية (Nestorius) حيث قَدَّمُوا خَدَمَاتٍ جَلِيلَةً بِنَقْلِهِمُ الْعُلُومَ الْيُونَانِيَّةَ إِلَى مَنْطِقَةِ الشَّرْقِ الْأَوْسَطِ، وَالصَّابِئَةِ أَوْ الْحَرَانِيِّينَ وَهَمُ فِرْقَةٌ تُؤَلِّهُ الْكُوكَبَ وَكَانَ مَقَرُّهُمْ فِي حَرَّانٍ فِي بِلَادِ مَا بَيْنَ النَّهْرَيْنِ ظَهَرَ مِنْهُمُ أَطْبَاءٌ أَجْلَاءُ ذَكَرَهُمُ ابْنُ أَبِي أُصَيْبَةَ فِي كِتَابِهِ عِيُونَ الْأَنْبَاءِ فِي طَبَقَاتِ الْأَطْبَاءِ، وَخَيْرِ الدِّينِ الزَّرْكَلِيِّ فِي الْأَعْلَامِ، ج ٢، ص ١٨٢ «الحراني»، حيث قاموا بترجمة الكتب السريانية إلى العربية، أو بتأليف كتبٍ في هذا المضمار، أو إدارتهم المُسْتَشْفِيَّاتِ وَالبِيْمَارِسْتَانَاتِ وَمَعَالِجَتِهِمُ الْمَرَضِيَّ، وَطَبَّ الْإِسْكَندَرِيَّةِ بِمِصْرَ حَيْثُ انْتَقَلَ إِلَيْهَا الطَّبُّ الْيُونَانِيُّ عَنِ طَرِيقِ أَثِينَا (Athenes)، وَطَبَّ الْأَنْدَلُسِ انْتَقَلَ إِلَى الشَّرْقِ أَثْنَاءَ الْحُكْمِ الْأُمَوِيِّ بِقَرطُبَةَ.

أَطْبَاءُ جُنْدِي سَابُور

كَانَ لِجَامِعَةِ وَبِيْمَارِسْتَانِ جُنْدِي سَابُورِ دَوْرٌ مُهِمٌّ فِي الطَّبِّ الْإِسْلَامِيِّ، وَاسْتَمَرَّتْ أَهْمِيَّةُ هَذَا الدَّوْرِ الْفَعَّالِ إِلَى أَوَاخِرِ الْقَرْنِ الثَّلَاثِ الْهَجْرِيِّ، وَكَانَ لِمَدْرَسَةِ جُنْدِي سَابُورِ الْفَضْلُ الْأَكْبَرُ عَلَى الْعُلُومِ الطَّبِيَّةِ فِي الْعَصْرِ الْإِسْلَامِيِّ، حَيْثُ أَخَذَتْ عَلَى عَاتِقِهَا الْقِسْطَ الْأَوْفَرَ فِي إِعْدَادِ الْأَطْبَاءِ وَالصِّيَادَةِ، وَعَلَى رَأْسِ هَؤُلَاءِ الْأَطْبَاءِ أَبْنَاءُ بَخْتِ يَشُوعَ الَّذِينَ خَدَمُوا الْعُلُومَ الطَّبِيَّةَ حِوَالَى ٢٥٠ سَنَةً.

وَكَانَ الْأَسَاتِذَةُ فِي جُنْدِي سَابُورِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ خَلِيطًا مِنَ الْإِيرَانِيِّينَ وَالسَّرِيَانِ وَالْيُونَانِيِّينَ، وَكَانَ التَّدْرِيسُ بِاللُّغَةِ الْيُونَانِيَّةِ، أَمَّا الْفَارْسِيَّةُ فَكَانَتْ تُسْتَعْمَلُ فِي عُلُومِ الصَّيْدَلَةِ وَتَحْضِيرِ الدَّوَاءِ، وَتَقَدَّمَ الْأَطْبَاءُ الْإِيرَانِيُّونَ فِي هَذَا الْمِضْمَارِ حَيْثُ اقْتَبَسُوا عُلُومَ الْأَطْبَاءِ الْأَجَانِبِ وَأَضَافُوا إِلَيْهَا اِكْتِشَافَاتِهِمْ وَتِجَارِبَهُمْ فَوَصَّلُوا دَرَجَةً تَفُوقُ دَرَجَةَ الْأَطْبَاءِ الْيُونَانِيِّينَ.

وَكَانَتْ جَامِعَةُ جُنْدِي سَابُورِ تُدْرَسُ الْحِكْمَةُ وَالْفَلْسَفَةُ وَالرِّيَاضِيَّاتُ وَالْعُلُومُ الطَّبِيْعِيَّةُ كَمَا خَصَّصَتْ لِمَدْرَسَةِ الطَّبِّ مُسْتَشْفَى يَتِمَّرُنُ بِهَا الطَّلَبَةُ. كَمَا كَانَ الطَّلَابُ يَرُدُّونَ إِلَى هَذِهِ الْجَامِعَةِ مِنَ الْمُدُنِ الْإِيرَانِيَّةِ وَالدُّوَلِ الْمَجَاوِرَةِ.

قَالَ الْقَفْطِيُّ فِي تَارِيخِ الْحُكَمَاءِ، فِي تَرْجُمَةِ الْحَارِثِ بْنِ كَلْدَةَ التَّقْفِيُّ: «طَبِيبُ الْعَرَبِ

في وقته، رَحَلَ إلى فارسَ وأخذَ الطبَّ عن أهلِ جندي سابور وغيرها في الجاهلية وقبل الإسلام...» (تاريخُ الحكماء للقفطي، ص ١٦٢). كما روى القفطي أنَّ الحارث هذا كان طبيبَ الرسول (ص) في الإسلام)

جامعةُ جندي سابورُ وبغدادُ

كانت علاقةُ جندي سابور ببغداد قائمةً على إحصار أطباء هذه الجامعة إلى بغداد طوعاً أو كرهاً وللأسباب التالية:

١- قلةُ الأطباءِ الحاذقين قبل المركزيةِ الطبيةِ ببغداد والشهرةِ الواسعةِ التي كانت يتمتعُ بها أطباءُ جندي سابور.

٢- قلةُ الثقةِ بعلمٍ ومهارةِ الأطباءِ العرب من قبل الخلفاءِ والأمراء في أوائلِ العصرِ العباسيِّ.

٣- إفراطُ الخلفاءِ والأمراءِ في الغذاءِ والشرابِ وال...، ممَّا جعلهم يبتلونَ بأمراضٍ يعجزُ الطبيبُ غيرُ المُتفوقِ مُعالجتها، لذا اضطرَّوا استدعاءَ أطباءٍ مُتخصِّصين من جندي سابور.

٤- رغبةُ خلفاءِ بني العباس في جعل عاصمةِ مُلكِهِم (والتي سُيِّدت حديثاً) مركزاً للعلوم والفنون والآداب كي يسطعَ كوكبُ العلم في بغداد وتُأفل أنوارُ المراكز العلمية الأخرى كجامعةِ جندي سابور مثلاً.

٥- اهتَمَّ بعضُ خلفاءِ بني العباس كهارون الرَّشيد (١٧٠-١٩٣هـ)، والمأمون (١٩٨-٢١٨هـ) بترجمةِ العلوم اليونانيةِ إلى العربيةِ، والدورُ الفعَّالُ المتميزُ الذي قام به علماء إيران.

وكانت أولُ رابطةٍ حصلت بين بغداد وجندي سابور هي إحصارُ جورجس الطبيب إلى بغداد من قبل الخليفة المنصور في القرن الثاني الهجري، قال القفطي في تاريخ الحكماء: «كان المنصورُ في صدر أمرِهِ عندما بنى مدينة السلام ببغداد في سنة ثمان وأربعين ومائة للهجرة أدركهُ ضعفٌ في معدته وسوءُ استمراءٍ، وقلةُ شهوةٍ، وكلما عالجهُ



الأطباء ازداد مرضه، فتقدّم إلى الربيع (حاجبه) بجمعهم، فلما اجتمعوا قال لهم المنصور: أريد طبيباً ماهراً. فقالوا: ما في عصرنا أفضل من جورجس رئيس أطباء جندي سابور، فتقدّم المنصور بإحضاره. فأنفذه العاملُ بجندي سابور بعد ما امتنع عن الخروج، وأكرهه العاملُ فخرج ووصى ولده بخت يشوعَ بالبيمارستان...». (تاريخ الحكماء للقفطي، ص ١٥٨)

أما تدريسُ الطب في بغداد فكان بواسطة أساتذة الطب القادمين من جندي سابور حيثُ اجتمع عددٌ من الطلبة في حلقة محاضرات جورجس بن بخت يشوعَ، وعيسى بن شهلافا وكانت هذه الحلقاتُ نواة مدرسة الطبِّ في بغداد.

وكانت حلقةُ درسِ يوحنا بن ماسويه من الحلقات الناجحة فكان برنامجها الدراسيّ يشتمل على العلوم الطبية والفلسفة والحكمة والطبيعات، وقد تخرج منها عددٌ من كبار العلماء، منهم: الطبيب الفيلسوف ثابت بن قرة (٢٢١-٢٨٨هـ).

وقد أُلّفَ ثابت هذا ١٥٠ كتاباً (انظر الأعلام للزركلي، ج ٢، ص ٨١) والفيلسوفُ الطبيب المنجم المترجم قسطا بن لوقا البعلبكي (١٠٠٠-٣٠٠هـ) كان جيد العربية وله مؤلفات كثيرة وقام بتعريب عدد من المصنّفات اليونانية (معجم المؤلفين لكحالة، ج ٨، ص ١٣١، وعيون الأبناء، ص ٣٢٩) وحنين بن اسحاق الطبيب (١٩٤-٢٦٠هـ) وكان يجيد اللغات اليونانية والسريانية والفارسية، عيّنه المأمون رئيساً لديوان الترجمة، وله كتبٌ ومترجمات كثيرة تزيد على المائة (انظر الأعلام للزركلي، ج ٢، ص ٣٢٥) والمترجم المعروف الحجاج بن يوسف بن مطران، كان في زمن هارون الرشيد والمأمون، وترجم كتباً عديدة.

فكانت هذه التراجمُ أساساً للطبِّ الإسلامي وكان لها الأثر الأكبر في تقدّم العلوم الطبية، ودراسة هذه الكتب ساعد الكثير من طلبة العلوم في الوصول إلى غاياتهم، ونتيجةً لهذا فقد نبغ جماعةٌ من الأطباء المسلمين، وارتقوا بالعلوم الطبية الإسلامية إلى أعلى المستويات.

ومما تجدر الإشارة إليه هو أن مستشفى جامعة جندي سابور كانت أكبر مستشفيات العالم في ما قبل الإسلام وإلى سنة ١٧١هـ/٧٨٧م حيث قرّر هارون الرشيد أن يُشيد

مستشفى على طراز جندي سابور، فاستدعى الطبيب الإيراني المشهور جبرائيل بن بخت يشوع وأمره بإنشاء مستشفى في بغداد، فقام جبرئيل بإنشائها على هيئة جندي سابور، وعندها أتم عمله عينه الرشيد رئيساً لهذه المستشفى والتي سُميت بمستشفى الرشيد، ثم جُلب إليها الأطباء من جندي سابور منهم الطبيب والصيدلي المشهور أبو يوحنا ماسويه صيدلي جندي سابور المشهور وغيره كما وضع لها برنامجاً يُطبق برنامج جندي سابور وبعد مدة أحال رئاستها إلى دهشتك أحد أساتذة جندي سابور ولكن دهشتك هذا لم يوفق في عمله فاستقال من منصبه مما اضطر جبرئيل أن يُعين أخاه ميخائيل بن بخت يشوع رئيساً للمستشفى المذكور واستمر هذا التبادل الثقافي والإسناد العلمي بين جندي سابور وبغداد من النصف الثاني من القرن الثاني الهجري واستمر طيلة الحكم العباسي. ومن هذا يتبين للقارئ العزيز مدى التبادل الثقافي والإسناد العلمي بين جندي سابور وبغداد، والدور الفعال للأطباء الإيرانيين في تقدم العلوم الطبية وخصوصاً جامعة جندي سابور.

تاريخ الطب في إيران الإسلامية

إن تاريخ الطب وحركة النمو والتكامل للعلوم الطبية في إيران الإسلامية يبدأ من سقوط الدولة الأموية واستيلاء بني العباس على الخلافة في النصف الأول من القرن الثاني حيث بايع الناس أبا العباس السفاح بالخلافة جهراً في الكوفة سنة ١٣٢هـ ثم بنى مدينة الهاشمية قرب الأنبار وجعلها مقر خلافته، توفى السفاح سنة ١٣٦هـ، وولي الخلافة أخوه أبو جعفر المنصور، وأمر سنة ١٤٥هـ ببناء مدينة بغداد، وبعد ذلك جعلها دار ملكه بدلاً من «الهاشمية» ثم دعا إليها علماء البصرة والكوفة، وعندما استقر هؤلاء في بغداد بدأت حركة علمية وشكلت حلقات الوعظ والحديث والفقه والأصول وعلوم العربية و...، وقصدها طلاب العلوم من كل حدب وصوب.

وبعد زمن شيدت في الجانب الآخر لدجلة محلة باسم الكرخ يربطها ببغداد جسر على دجلة. وكان قاطبة الإيرانيين قد رجحوا السكنى في جانب الكرخ كما

شُيِّدَتْ أَوَّلُ بيمارستان ببغداد فى الكرخ وكانت النّوأة لشجرة العلوم الطّبية ونُقطة الانطلاق فى تكوين المدرسة الطّبية ببغداد وعمل بها أطباء ملأت شهرتهم عالم تلك الفترة أمثال آل بخت يشوع وغيرهم، وتوسّعت ببغداد فى زمن الرشيد وصارت مركزاً للتمدّن الإسلامى ونشر العلوم وخصوصاً موضوع بحثنا «العلوم الطّبية» وذلك لأنّ الخلفاء كانوا يحضرون الأطباء من البلاد المفتوحة إلى ببغداد وخاصّةً إطبّاء جندى سابور، وكان لأساتذة جندى سابور الفضل الأكبر فى نشر العلوم الطّبية فى العصر الإسلامى وتوطيد أركان دار العلم ببغداد وعلى رأس هؤلاء آل بخت يشوع حيث قدّموا للعلوم الطّبية الإسلامىة خدماتٍ جليّةً بين جدّ وأبٍ ونجلٍ وحفيدٍ وفى ستة أجيال وخلال ٢٥٠ سنة حيث كانوا سادة الطب والأطباء فى ذلك العصر.

مترجمو الكتب العلميّة والطّبيّة

كان تعريب المؤلفات والمصنّفات قبل الدولة العبّاسيّة قليلاً ومحدوداً، وعندما تشكّلت الدولة العبّاسيّة اتّخذت ترجمة الكتب مكاناً مرموقاً. وحينما يرغب أىّ ذى بصيرة أن يدوّن موضوعاً ما عن التمدّن الإسلامى لا يمكن أن يعزّو التقدّم العلمى إلى العرب وحدهم أو لغير العرب (من الأمصار المفتوحة) وحدهم، وبما أنّ تاريخ الطبّ فى إيران جزءٌ من تاريخ الطبّ الإسلامى لذا لا يمكن الفصل بينهما، وعلى من يريد أن يخوض هذا البحر الزاخر عليه أن يبحث العلوم من المغرب العربى والأندلس إلى إيران وجماهيريات الاتّحاد السوفياتى السابقة وتركيا وباكستان والبنغال والهند وما إليها والصين والتّبت وما جاورها لوقوعها ضمن حدود الإمبراطورية الإسلامىة فى عصرها الذهبى، ولكى لا نخرج عن الهدف المقصود من هذا المؤلّف نكتفى هنا بذكر المترجمين الإيرانيين :

١- ماسرّجويّه (ماسرّجيس)، ذكره ابن النّديم فى الفهرست (الفن الثالث - من المقالة السابعة، ص ٣٥٥) وقال: «من الأطباء، وكان ناقلاً من السريانىّ إلى العربىّ، وله من الكتب...». ثمّ ذكر فى نفس الصفحة فى ترجمته «اهرن القس»: «وعمل كتابه (الكناش)

بالسريانية، ونقله ماسرجيس (إلى العربية) وزاد عليه مقاليتين».

٢- عيسى بن ماسرَجُويَّةَ : كان مُترجماً مثل والده نقل من السريانية إلى العربية قال ابن التَّدِيم في المصدر أعلاه: «ولهُ من الكُتُب: كتاب الألوان، وكتاب الروائح والطُّعوم».

٣- آل بخت يشوع: وهُم عائلةٌ مسيحيَّةٌ نَسْطُوريَّةٌ خدمت العلوم الطبيَّةَ بجندی سابور (جندی شاپور) وبغداد خلال ثلاثة قرونٍ منهم: بختيشوع الكبير، ثمَّ جورجس بن بختيشوع الذي ترجم من اليونانية إلى العربية كُتباً كثيرةً. (انظر الأعلام للزركلي، ج ٢، ص ١٤٣، وعيون الأنباء لابن أبي أصيبعة، الباب الثامن، ص ١٨٣)

٤- يوحنا (يحيى) بن ماسويَّةَ قال صاحبُ عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٢٤٦: «قلده الرشيدُ ترجمةَ الكتب القديمة مما وُجدَ بأنقرةَ وعموريَّةَ وسائر بلاد الروم حين سبأها المسلمون، ووضعه أميناً على الترجمة». وقد أَلَّفَ يوحنا ٤٦ كتاباً ذكرناها في ترجمته وأشرنا إلى نسخها الخطيَّة في مكنتبات العالم المعاصرة.

٥- عيسى بن صهار بخت (جهار بخت)، كان طبيباً من أطباء جندی سابور، وأستاذاً في الترجمة، ومنه أخذ يوسف بن عيسى الطبيب المترجم المعروف بيوسف النَّاقِلِ.

وترجم عيسى بن صهار بخت المقالات الثلاث الأخيرة من تفسير جالينوس لكتاب «الفصول لابقراط» من السريانية إلى العربية، وأمَّا الأصلُ السريانيُّ فقد ترجمه حنين بن إسحاق من اليونانية إلى السريانية. (تاريخ الطب في إيران للدكتور محمود نجم آبادي، ص ٢٣٦)

٦- يوسف النَّاقِلِ: هو أبو يعقوب يوسف بن عيسى المتطبب النَّاقِلِ، ويُلقَّبُ بالنَّاعِسِ، وهو تلميذ عيسى بن صهار بخت، وكان يوسف النَّاقِلُ من خوزستان وكانت في عبارته لكنتة. (عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٢٨١)

٧- سهل بن ربن الطبري، نُسِبَ إليه ترجمة «المجسطي».

٨- عيسى بن ماسة، ذكره الدكتور نجم آبادي ضمن المترجمين. (تاريخ الطب في إيران، ص ٢٦٩)

٩- يوحنا بن بخت يشوع ترجم كثيراً من الكتب اليونانية إلى السريانية.



ونكتفى بهذا العدد من المترجمين الإيرانيين ونرجو من يرغب المزيد مراجعة طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة، ص ٢٧٩-٢٨٤.

الكتبُ الطبيَّةُ

من المعروف أنَّ تدوينَ تاريخِ الطبِّ يشمِلُ ترجمةَ حياةِ الأطباءِ والحكماءِ وآثارهم ومؤلفاتهم، ورُويَ أنَّ أقدمَ رسالةٍ في هذا الموضوع هي رسالةُ إسحاق بن حنين (٢١٥-٢٩٨هـ) «تاريخُ الأطباءِ والحكماءِ» بدأ منذ تاريخ ظهور الطبِّ إلى زمن الطبيب المشهور محمد بن زكريا الرازي المتوفى سنة ٣١١هـ ومِمَّا لا شك فيه أنَّ كُتُباً قد سبقت رسالة ابن حنين في هذا المضمار ككتاب «قسم بُقراط» المنسوب إلى جالينوس، وتاريخ يحيى النحوى للأطباء والحكماء وقد ترجمه إسحاق بن حنين وضمَّنه كتابه المذكور أعلاه، وكان مؤلِّفُ إسحاق مصدراً لكافةِ كتابِ تواريخِ الطبِّ من بعده، وهي:

١- كتابُ قينون الترجمان (من القرن الثالث الهجري) وهو الذي قال فيه ابن النديم في الفهرست: «ومنهم قينون، وهو أصح الناقلين نقلاً وأحسنهم عبارةً ولفظاً.» (الفهرست لابن النديم: (آخر الفن الثاني من المقالة الأولى) ص ٢٤)

وقد استند ابن أبي أصيبعة في كتابه (عيون الأنباء في طبقات الأطباء) على كتاب قينون المذكور ونقل عنه بعض التراجم. ولم أجد في المصادر الموجودة من يشير إلى وجود هذا الكتاب في مكتبات العالم، ولعله فقد. ومِمَّا تجدرُ الإشارةُ إليه هو أنَّ بعضهم ذكر اسمه «فتيون» والله أعلم.

٢- كتاب «أدب الطبيب» تأليف إسحاق بن علي الرهاوي (من أبناء القرن الثالث الهجري)، نقل عنه صاحب «عيون الأنباء في طبقات الأطباء»، واللفظي في «أخبار العلماء بأخبار الحكماء»، بعض التراجم، والظاهرُ أنَّ هذا الكتاب قد فُقدَ أيضاً ولم يصل إلينا.

٣- تاريخ يعقوبى، تأليف أحمد بن إسحاق (أبي يعقوب) بن جعفر بن وهب بن

واضح اليعقوبي^١، انتهى به إلى خلافة المعتمد على الله العباسي، طبعه (هوتسما)^٢ في لندن سنة ١٨٨٣م طباعة حديثة، وفي النجف الأشرف سنة ١٣٥٨هـ، وفيه الكثير من تراجم الأطباء.

٤- كتاب سيرة الحكماء، تأليف أبي بكر محمد بن زكريا الرازي المتوفى سنة ٣١٣هـ نقل عنه صاحب عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ولم يصل إلينا.

٥- أخبار الأطباء (المتطببين) وأخبار المنجمين، تأليف ابن الداية، ينقل عنه ابن أبي أصيبعة في «عيون الأنباء»، والقفطي في «أخبار العلماء»، كثيراً، وقد فُقد ولم يصل إلينا.

٦- كتاب «التنبيه والإشراف»، تأليف المسعودي (علي بن الحسين) المتوفى سنة ٣٤٦هـ/٩٥٦م، طبع في لندن - بريل سنة ١٨٩٣م طباعة حديثة، وتضمن الكثير من تراجم الأطباء.

٧- كتاب الفهرست لابن النديم، طبع مرات عديدة، وهو من أهم المراجع في هذا المضمار.

٨- طبقات الأطباء والحكماء لابن جلجل الأندلسي المتوفى سنة ٣٧٧هـ، طبع بالقاهرة سنة ١٩٥٥م.

٩- كتاب «رتبة الحكيم» تأليف أبي القاسم مسلمة بن أحمد بن قاسم بن عبدالله المجريطي^٣، الأندلسي^٤، انظر فهرست الكتب العربية المحفوظة بالكتبخانة الخديوية بالقاهرة، ج ٥، ص ٣٨١ في الكلام على «رتبة الحكيم».

١٠- كتاب «صوان الحكمة» لأبي سليمان المنطقي (محمد بن طاهر بن بابا بن بهرام السجستاني) المتوفى في العقد الأخير من القرن الرابع الهجري، نشر بطهران سنة ١٩٧٤ بتحقيق الدكتور عبدالرحمن بدوي، ويعتبر من أهم المصادر في تاريخ الطب.

١. توفي بعد سنة ٢٩٢هـ/٩٠٥م، انظر الأعلام للزركلي، ج ١، ص ٩٠.

٢. هوتسما (Houtsma) مستشرق هولندي، أحد محرري دائرة المعارف الإسلامية في طبعها الأولى، نشر تاريخ اليعقوبي المذكور أعلاه، وساعد على طبع تاريخ الطبری.

٣. مجريط = مدريد.

٤. هكذا ذكره الزركلي في الأعلام ج ٨، ص ١٢١ نقلاً عن عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة.



- ١١- كتاب «مناقب الأطباء»، تأليف عبيدالله بن جبرئيل بن عبيدالله بن بختيشوع المتوفى سنة ٤٥٣هـ.
- ١٢- طبقات الأمم، تأليف القاضي أبي القاسم صاعد بن أحمد الأندلسي المتوفى سنة ٤٦٢هـ. طبع في مصر وبيروت.
- ١٣- بُستانُ الأطباء وروضةُ الألباء، تأليفُ موفق الدين أسعد بن إلياس بن المطران المتوفى سنة ٥٨٧هـ، منه مخطوطة في: Army Medical, Glevel and.U.S.A.
- ١٤- مختارُ الحكم ومحاسنُ الكلم، للأمير مبشر بن فاتك المتوفى سنة ٥٨٩ هـ. مخطوطة منه في مكتبة أحمد الثالث كتبت سنة ٦٥٨ هـ، برقم ٣٢٤٩.
- ١٥- تاريخُ حكماء الإسلام للبيهقي المتوفى سنة ٥٩٥ هـ طُبع بدمشق سنة ١٩٤٦م.
- ١٦- إخبار العلماء بأخبار الحكماء تأليف جمال الدين ابن الففطي (علي بن يوسف) المتوفى سنة ٦٤٦هـ. طبع في مصر سنة ١٣٢٦هـ.
- ١٧- عيون الأنباء في طبقات الأطباء تأليف ابن أبي اصبيعة (موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم) طبع بمصر سنة ١٢٩٩-١٣٠٠هـ.
- ١٨- وفيات الأعيان، لابن خلكان، طبع سنة ١٨٣٥-١٨٤٣م.
- ١٩- تاريخ مختصر الدول، لأبي فرج ابن العبري، وفيه نقلٌ كثيرٌ عن ابن جَلْجَل، طُبع في بيروت سنة ١٨٩٠م.
- ٢٠- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تأليف شهاب الدين بن فضل الله العمري المتوفى سنة ٧٤٩هـ، أفرده فيه قسماً كبيراً للأطباء في المشرق والمغرب، طبعت دار المعارف المصرية بالقاهرة الجزء الأول منه سنة ١٣٤٢هـ/١٩٢٤م.
- أما في أوروبا، فنرى مؤرخي زمن بعد النهضة العلمية (نهضة تجديد العلوم - Renaissance) قد وجهوا عنايتهم إلى آثار علماء وأطباء الإسلام ودوّنوا في مؤلفاتهم: تاريخ الطب الإسلامي، ورجال الطب والصيدلة، والمؤلفين والنقلة، ومن هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر:

١- «Danel Le Clerc» في كتابه تاريخ الطب



Histoire de La Medecine, La Haye, 1729.

٢- «Lucien Leclerc» في كتابه تاريخ الطب العربي

Histoire de La Medecine arabe, Paris, 1876.

٣- «F.Wustenfeld» في كتابه:

Geschichte der Arabischen Arzte and Natur for cher, Gottingen 1840.

٤- «Edward G.Browne» في كتابه:

Arabian Medicine, Gambrige, 1921.

٥- «Dr.L.Meunier» في كتابه:

Histoire de la Medecine, Paris, 1924.

٦- «Dr.Donald Campbell» في كتابه:

Arabian Medicine and its influence on the Middle Ages, London, 1926.

٧- «Charles Green Cumston» في كتابه:

M.D (Mme Dispan de Floran) Paris, 1931.

٨- M.Steineg

K.Sudhof,

في كتابهما:

Geschichte der Medizin, Jena 1928.

٩- A.Castiglioni في كتابه:

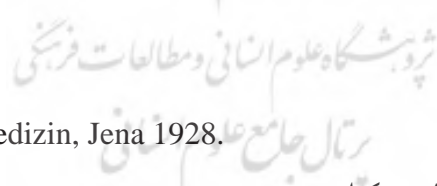
Histoire de la Medecine, Paris, 1931.

١٠- Ch.Singer في كتابه:

A Short History of Medicine, Dxford, 1938.

١١- Karl Brockelmann في كتابه:

Geschichte der Arabischen Litteratur, Leyden, 1937, 1943.



١٢ - Dr.Cyril Elgood في كتابه:

A Medical History of persia, Cambridge, 1951.

وقد ترجم هذا الكتاب إلى الفارسية زميلنا الأستاذ المرحوم محسن جاويدان، وطبع في طهران (مطبعة إقبال) سنة ١٣٥٢ هـ. ش، في ٨٩٠ صفحة.

١٣ - E.H. Ackerknecht في كتابه:

A short History of Medicine, New york, 1955.

١٤ - Ralph H.Major في كتابه:

History of Medicine, 1954.

١٥ - Douglas Guthrie في كتابه:

A Story of Medicine, London, 1957.

١٦ - Dr.Henry F.Sigerist في كتابه:

A Story of Medicine, Newyork, 1961.

١٧ - Maurice Bariety

Charles Coary

في كتابهما:

Histoire de la Medecine, Paris, 1963.

ومن المتفق عليه أن كافة الكتب المذكورة أعلاه تعتبر من أمهات المراجع المعتمدة في عصرنا الراهن، وقد استند مؤلفوها على مصادر التاريخ والطب الإسلامي.

عهد تجديد العلوم

بدأ عهد تجديد العلوم الطبية في إيران منذ ظهرت مؤلفات الجرجاني (السيد إسماعيل بن حسن) في ساحة العلوم الطبية، حيث ألف أربعة كتب باللغة الفارسية جمع فيها كافة العلوم الطبية السائدة في زمانه، وأضاف إليها ما حصل عليه من تجارب في حياته العملية.

وصارت مؤلفات الجرجاني الأساس الثابت في بناء علم الطب لطلاب العلوم وعشاق

الصحة وعلومها وإلى كافة المؤلفين والمصنِّفين الذين أكملوا هذه المسيرة. ومما يجبُ التَّنويهُ عنه هو أنَّ جماعةً قبل الجرجانيّ قد دوَّنوا بعض مؤلفاتهم بالفارسية وأغلب مصنفاتهم كانت بالعربية كابن سينا وغيره، ولكنَّ الجرجانيّ اختار الفارسية لكتبه كما أوجَدَ اصطلاحاتٍ فارسية للاصطلاحات الطبية السائدة في علوم زمانه ومن اطَّلَع على كتابه «الذخيرة» يحصل على ما قصد.

وقد اهتم الإيرانيون بمصنِّفات الجرجاني وكثُر استنساخها وتداولها، وذلك لأنها حوت علوم كتب أبي زكريا الرازي، وابن سينا، مع علوم الجرجاني وتجاربه، وخاطبت الناس بلغة البيت والمدرسة والشارع ولسان القلب والضَّمير وكانت النتيجة أن سيطرت مؤلِّفاتُ الجرجاني على أفكار كافة من أَلَف في العلوم الطبية أو الصيدلة من القرن السادس إلى عصرنا الحاضر وكان كتابُ «الذخيرة» مصدر كل المصنِّفات التي ظهرت فيما بعدُ ككتاب «تحفة المؤمنين» المعروف بـ «تحفة حكيم مؤمن» تأليف محمد مؤمن بن محمد زمان الحسيني التَّنكائيني (طبع في الهند سنة ١٢٦٦هـ وفي طهران مرَّات عديدة آخرها سنة ١٣٧٨هـ.ق)، وكتاب «مجمع الجوامع» تأليف السيد محمد حسين خان بن ميرمحمد هادي العلوي الخراساني الشيرازي، طُبِعَ في كَلْكُتا «Calcutta» بالهند سنة ١٢٥٦هـ.ق، وفي بومباي سنة ١٢٦٢هـ.ق، وغيرهما.

نعم لقد تمكَّن الجرجاني قبل تسعة قُرون أن يُقدِّم نظريات تطابقُ أغلب نظريات الطبِّ في عصرنا الحاضر، ومن اطَّلَع على مؤلِّفات الجرجاني يقف على مدى العطاء الذي قدَّمه بنتاجه العلمي للعلوم الطبية الشرقية والغربية، وتأثير هذا النتاج في السَّيرِ التَّكاملِي للطبِّ في العالم.

تاريخُ المستشفيات في الإسلام

١- أوَّل مستشفى في الإسلام خيمةٌ رفيعة، حيثُ رُوِيَ أَنَّ سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس الأنصاري الصَّحابيِّ كانت له سيادةُ الأوس، وحملَ رايَتَهُم يوم بدر، وشهد الخندقَ ولكنه سُرعانَ ما أصيب في يده بجرحٍ شديدٍ من سَهْمٍ رمَاهُ به أحدُ القرشيين.



(صفة الصفوة، ج ١، ص ١٨٠، طبقات ابن سعد، ج ٣، ص ٢ القسم الثاني، الإصابة، الرقم ٣١٩٧، دائرة المعارف الإسلامية الترجمة العربية، ج ١١، ص ٤١٠، الأعلام للزركلي، ج ٣، ص ١٣٩) فَأَمَرَ الرَّسُولُ (ص) أَنْ يُوَضَعَ فِي خِيْمَةٍ «رُقَيْدَةً» قُرْبَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، هُوَ وَبَقِيَّةَ الْجُرْحِيِّ، كَيْ يَتِمَكَّنَ الرَّسُولُ الْأَكْرَمَ (ص) مِنْ زِيَارَتِهِمْ. لَذَا اعْتَبَرَ الْمُؤَرِّخُونَ هَذِهِ الْخِيْمَةَ أَوَّلَ مَسْتَشْفَى فِي الْإِسْلَامِ.

٢- دَارُ الْمَرْضَى الَّتِي أَسَّسَهَا الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ فِي دِمَشْقَ سَنَةَ ٨٨ هـ وَجَمَعَ فِيهَا فَنَائِهَا الْمَجْدُومِينَ وَالْعَمِيَانَ وَالْمَرْضَى وَعَيَّنَ لَهَا أَطْبَاءً وَمُمرِّضِينَ وَخِدْمَةً وَأَجْرَى عَلَيْهَا الصَّدَقَةَ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ.

٣- بِيْمَارِسْتَانُ الرَّشِيدِ: تَأَسَّسَتْ هَذِهِ الْمَسْتَشْفَى بِأَمْرِ هَارُونَ الرَّشِيدِ فِي سَنَةِ ١٧١ هـ، حَيْثُ طَلَبَ مِنْ طَبِيبِهِ جَبْرِئِيلَ بْنِ بَخْتِيشُوعَ أَنْ يُشَيِّدَهَا وَيُقَوِّمَ بِإِدَارَتِهَا، فَاسْتَدْعَى جَبْرِئِيلُ عِدَّةً مِنَ الْأَطْبَاءِ لِلْإِشْرَافِ عَلَى أُمُورِهَا، مِنْهُمْ أَبُو يُوْحَنَّا مَاسُويُّهُ الطَّبِيبُ، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ طَبِيباً وَصَيْدَلَانِيّاً فِي جَنْدِي شَابُورَ، وَاسْتَمَرَ الْخُلَفَاءُ عَلَى إِحْضَارِ أَطْبَاءٍ مِنْ جَنْدِي شَابُورَ وَبَقِيَتِ الْمَسْتَشْفَى فِي يَدِي أَطْبَاءِ إِيرَانِيِّينَ فِي عَهْدِ الرَّشِيدِ وَالْمَأْمُونِ وَمِنْ جَاءَ بَعْدَهُمَا. (تاريخ البيمارستانات في الإسلام للدكتور أحمد عيسى بك، ص ٩)

٤- بِيْمَارِسْتَانُ الْبِرَامِكَةِ، أَسَّسَهَا الْبِرَامِكَةُ فِي بَغْدَادَ فِي أَوَاخِرِ الْقَرْنِ الثَّانِي الْهَجْرِيِّ، وَكَانَ رَئِيسَهَا ابْنُ دَهْنِ الْهِنْدِيِّ. (راجع الفهرست لابن النديم - الفن الأول من المقالة السابعة - نقله الهند والنبت - ص ٣٠٥ - طبعة طهران)

٥- بِيْمَارِسْتَانُ بَدْرٍ، أَسَّسَهَا بَدْرُ غُلَامُ الْمُعْتَضِدِ الْعَبَّاسِيِّ فِي بَغْدَادَ بِمَحَلَّةِ مُخْرَمٍ، (قال ياقوت في معجم البلدان: «مُخْرَمٌ» بضم أوله وفتح ثانيه وكسر الراء وتشديدها، محلة كانت ببغداد بين الرصافة ونهر المعلّى، وفيها كانت الدار التي يسكنها السلاطين البويهيون والسلاجوقيون، خلف الجامع المعروف بجامع السلطان...) وكانت مصارف البيمارستان تُرْسَلُ فِي كُلِّ سَنَةٍ مِنْ مَوْقُوفَاتِ سِجَّاحِ وَالِدَةِ الْمُتَوَكِّلِ الْعَبَّاسِيِّ.

٦- بِيْمَارِسْتَانُ ابْنِ الْجِرَّاحِ، أَسَّسَهَا فِي بَغْدَادَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ عَيْسَى بْنِ الْجِرَّاحِ، ذَكَرَهُ الزَّرْكَلِيُّ فِي الْأَعْلَامِ (ج ٥، ص ١٣٢) وَقَالَ: «وَزِيرُ الْمُقْتَدِرِ الْعَبَّاسِيِّ وَالْقَاهِرِ وَأَحَدِ

العلماء والرؤساء، فارسى الأصل... ولى مكة واستقدمه المقتدر إلى بغداد سنة ٣٠٠هـ فولاه الوزارة...» ورؤى أنه كان قد دفع كافة تكاليف المستشفى من خالص ماله، وعين أبا عثمان سعيد بن يعقوب الطبيب الدمشقى رئيساً لها.

٧- بيمارستان سيده، أسستها أم المقتدر بالله العباسى، وكان اسمها شعب وتعرف بسيده قال الزركلى فى الأعلام (ج ٥، ص ٢٤٥): «شعب أم جعفر (المقتدر بالله العباسى) مدبرة حازمة، كانت من جوارى المعتضد بالله وتزوجها، ولما آلت الخلافة إلى ابنها «المقتدر» سنة ٢٩٥ هـ وعمره ثلاث عشرة سنة قامت بتوجيهه، واستولت على أمور الخلافة... وكان لها الأمر والنهى فى دولة ابنها وكانت سالحة، وكان متحصلاً ألف ألف دينار فتصدق بها وتخرج من عندها مثلها. من آثارها بيمارستان (مستشفى) أنشأته ببغداد، وكان طبيبه سنان بن ثابت، وكان مبلغ النفقة فيه فى العام سبعة آلاف دينار».

٨- بيمارستان المقتدر، أسسه بباب الشام فى بغداد جعفر المقتدر بالله العباسى سنة ٣٠٦ هـ وكان مبلغ النفقة فيه مائتى دينار.

٩- بيمارستان معز الدولة الديلمى، أسسه ببغداد معز الدولة أبو الحسين أحمد بن بويه الديلمى سنة ٣٥٥ هـ، وكان مبلغ النفقة فيه خمسة آلاف دينار، تدفع من موقوفات خصصت لهذه المستشفى.

١٠- البيمارستان العضى، بناها عضد الدولة فناخسرو الديلمى على دجلة غربى جسر بغداد، وعين الطبيب المشهور محمد بن زكريا الرازى رئيساً لها.

ذكر ابن خلكان فى وفيات الأعيان فى ترجمة فناخسرو الديلمى (ج ٣، ص ٢١٨)، وقال: «والبيمارستان العضى منسوب إليه، وهو فى الجانب الغربى، وغرم عليه مالا عظيماً، وليس فى الدنيا مثل ترتيبه، وفرغ من بنائه سنة ثمان وستين وثلاثمائة، وأعد له من الآلات ما يقصر الشرح عن وصفه».

والظاهر أن هذه المستشفى قد هدمت وأصبحت أنقاضاً نتيجة لفيضان مياه دجلة. قال ابن الأثير فى كتابه الكامل فى التاريخ (ج ١١، ص ٤٠٨، حوادث سنة ٥٦٩ هـ): «وزادت دجلة زيادة عظيمة... وخاف الناس الغرق، وفارقوا البلد، وأقاموا على شاطئ



دجلة خوفاً من انفتاح القورج وغيره، ونبع الماء في البلايع وخرّب كثيراً من الدُورِ، ودخل الماء إلى البيمارستان العُضدى، ودخلت السُّفُن من الشبّايبك التي له، فإنّها كانت قد تَقَلَّعتْ...».

١١- بيمارستانُ فخر المُلكِ، أسَّسها ببغداد فخرُ المُلكِ محمد بن علي بن خلفٍ، وزيرُ بهاء الدولة البويهى.

١٢- بيمارستان واسط، ذكرها ابن كثير في البداية والنهاية (ج ١٢، ص ١٤، حوادث سنة ٤١٣ هـ) وقال: «وفيها (أى سنة ٤١٣ هـ) فُتِحَ البيمارستان الذى بناه الوزير مؤيدُ الملك أبو علي الحسن، وزيرُ شرف الملك، «بواسطاً»، ورُتِبَ له الخزان، والأشربة، والأدوية، وغير ذلك مما يُحتاجُ إليه».

١٣- بيمارستان بابِ المِعُولِ، بُنِيَتْ جنبَ محلّةِ الكرخ في بغداد سنة ٤٤٩ هـ (انظر عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان المعروف بتاريخ العيني، لأبى محمد محمود بن أحمد العيني المتوفى سنة ٨٥٥ هـ/١٤٥١ م - حوادث سنة ٤٤٩ هـ).

١٤- بيمارستان ميفارقين، أسَّسها نصيرُ الدولة بن مروان حاكم ديار بكر في عصر خلافة القائم بأمر الله العباسى.

١٥- بيمارستانُ المُوصلِ، بناها سنة ٥٧٢ هـ في مدينة الموصل مجاهدُ الدين قايمار بن عبد الله الزينى حاكم الموصل زمن الأتابك سيف الدين غازى بن مودود ووقف أملاكاً كثيرة تصرف عائداتها في إدارة هذه المستشفى.

١٦- بيمارستان الرِّقَّةِ، ذكرها ابنُ أبى أصيبعة في عيون الأنباء في طبقات الأطباء (ص ٧٥١) في ترجمة بدر الدين ابن قاضى بعلبك (هو بدر الدين مظفر ابن القاضى مجد الدين عبد الرحمن بن إبراهيم البعلبكي الطبيب - المتوفى سنة ٦٧٥ هـ).

١٧- بيمارستان حرّان، ذكرها ابن جبير في رحلته وقال إنّه شاهدها. (انظر رحلة ابن جبير، طبعة ليدن، ص ٢٤٧)

١٨- بيمارستان نصيبين، ذكرها ابنُ بطوطة في رحلته عندما ذكر نصيبين ومُروَره

١. الآن محافظة في العراق، مركزها «الكوت»، وأقضيّتها: الصُويرة، النعمانيّة، بدرّة، الحى.

بها سنة ٧٢٠ هـ.

- ١٩- بيمارستان نابلس في فلسطين.
- ٢٠- بيمارستان دمشق الكبير.
- ٢١- بيمارستان أنطاكية، في سوريا.
- ٢٢- بيمارستان حلب في سوريا.
- ٢٣- بيمارستان حماة في سوريا.
- ٢٤- بيمارستان القدس في فلسطين.
- ٢٥- بيمارستان غزة في فلسطين.
- ٢٦- بيمارستان عكا في فلسطين.
- ٢٧- بيمارستان الكرك في الأردن.

بيمارستانات إيران الإسلامية

١- بيمارستان جندي سابور، تعتبر أكبر أمهات مستشفيات الإسلام، وأعظم مصادر إمداد الطب الإسلامي باطباء عظماء أمثال: آل بختيشوع وماسويه وابن سينا ومحمد بن زكريا الرازي و...، وذلك لقدمها في تاريخ الطب ومكانتها في العلوم الطبية منذ أقدم العصور.

٢- بيمارستان الرّي، والرّي مدينة ملاصقة لتهران، كانت من المستشفيات المهمة في إيران، وكان رئيسها الطبيب المعروف محمد بن زكريا الرازي، (تاريخ الحكماء للقفطي طبعة مصر ١٣٢٦ هـ، ص ١٧٨، وطبقات الأطباء والحكماء (طبعة القاهرة - ١٩٥٥م)، ص ٧٧) وتعتبر من أقدم بيمارستانات إيران في العصر الإسلامي.

٣- بيمارستان زرنج، أسسها عمرو بن الليث الصفار ثاني أمراء الدولة الصفارية وُلّي بعد وفاة أخيه يعقوب بن ليث الصفار سنة ٢٦٥ هـ، (انظر الأعلام للزركلي، ج ٥، ص ٢٥٧) قال الإصطخرى في المسالك والممالك (طبعة ليدن، ص ٢٤١): «بنى عمرو بن ليث الصفار في زرنج سوقاً ومسجداً جامعاً وبيمارستاناً».



- وزرنجُ كما ذكر ياقوتُ في مُعْجَمِ البلدانِ (ج ٣، ص ١٣٨): «بفتح أوله وثانيه ونون ساكنة وجيم، مدينة، هي قسبة سجستان (وتسمى اليوم سيستان)...».
- ٤- بيمارستان إصفهان، ذكرها ابنُ أبي أُصيبعة في «عيون الأنباء في طبقات الأطباء»، ص ٤٦٠، عند الكلام عن أبي علي أحمد بن عبدالرحمن بن مندويه الأصفهاني المتوفى بعد سنة ٣٥٠ هـ وقال: «لأبي علي بن مندويه الإصفهاني من الكتبِ عدَّةُ رسائلٍ مشهورةٍ إلى جماعةٍ من أصحابه في الطبِّ، وهي: رسالةٌ إلى أحمد بن سعد في تدبير الجسدِ، و...، ورسالةٌ إلى المُتَقَلِّدِينَ عِلاجِ المرضى بيمارستان إصفهان...».
- ٥- بيمارستان نيشابور، ذكرها خيرُ الدين الزركلي في الأعلام، ج ٤، ص ٣٤٠، في ترجمة عبدالملك بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الخركوشي المتوفى سنة ٤٠٧ هـ، نقلاً عن كتاب «تبيين كذب المفتري»، طبعة دمشق، سنة ١٣٤٧ هـ، ص ٢٣٣، لابن عساکر، وقال: «قال ابنُ عساکر: بنى في سكّنه مدرسةً وداراً للمرضى، ووقفَ عليها أوقافاً، ووضع في المدرسة خزانةً للكتبِ».
- ٦- بيمارستان مرو، ذكرها ابن البيطار (أبو محمد ضياء الدين، عبدالله بن أحمد المالقي المتوفى سنة ٦٤٦ هـ) في كتابه الأدوية المفردة المعروف بمفردات ابن العطار، طبعة مصر، ج ٢، ص ١٥، وذكر أن عيسى بن ماسة كان من أطباء هذه المستشفى. هذه أهم البيمارستانات التي اشتهرت قبل عصر الانحطاط (أي قبل انهيار الدولة العباسية وسقوط بغداد بيد هولاء سنة ٦٥٦ هـ)، ونعزفُ عن ذكر مستشفيات عصر الانحطاط لقلتها أو بالأحرى لانعدامها، وكذلك عصر النهضة والزمن الراهن لكثرتها وخروجها عمّا نحن في صده.